

ثورات الأقاليم في عهد المأمون:

لا شك أن ضعف السلطة المركزية في بغداد نتيجة للفن والحروب التي تخللت عصر الأمين وأوائل عصر المأمون قد انتقلت عدواها الى الأقاليم الإسلامية الأخرى كما شجعت بعض الولاة على التهاون بمصالح الناس وارهاقهم بكثرة الضرائب والاعباء المالية المختلفة ، مما أدى الى جنوحهم للثورة والعصيان .

ففي أوائل عصر المأمون كانت الأحوال في مصر مضطربة اذ انتقلت اليها عدوى الخلافات بين الأمين والمأمون ، ففريق كان يؤيد الأمين ، وفريق آخر مع المأمون وفريق ثالث بزعامة السري بن الحكم وأولاده يعمل لحسابه الخاص ويضرب فريقاً بآخر بغية الاستقلال بمصر . وتصادف في ذلك الوقت أن قامت ثورة في الأندلس (اسبانيا) ضد أميرها الحكم الأول الأموي ، وهي المعروفة بثورة الربض لأنها قامت في ربض من أرباض (ضواحي) العاصمة قرطبة .

الثورة ثمانية أشهر حتى اضطرت الخليفة المأمون ، وكان في الشام وقتئذ ، أن يذهب الى مصر بنفسه لتهدئة الحالة . وغضب الخليفة على والي مصر وقتئذ واسمه عيسى ابن منصور وأنبه بقوله : « لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك ، حماة الناس ما لا يطيقون ، وكنتموني الخبر حتى تفاقم الأمر واضطربت البلد » . ثم أمر بعزله وحاول المأمون في بادئ الامر أخذ الثوار باللين ، فوسط بينه وبينهم اسقفاً معروفاً باسم دنيس Denys ولكن الوساطة لم تنفع فاضطر الى استعمال الشدة والعنف لاجماد تلك الثورة . ويروى في هذا الصدد أن الخليفة استفتى فصيهاً مالكياً في معاملة الثوار ، فقال له الفقيه « ان كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا يحل دماؤهم وأموالهم » فقال المأمون : « أنت تيس ومالك أتيس منك ! هؤلاء كفار لهم ذمة اذا ظلموا تظلموا الى الامام وليس لهم أن يستنصروا بأسيافهم ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم . وواضح من هذه العبارة أن المأمون يعترف بوقوع ظلم على الرعية ولكنه لا يقر مبدأ الثورة المسلحة كحل للمشكلة .

كذلك قامت القبائل والعشائر العربية في الشام والجزيرة بثورات مختلفة بقيادة زعيم عربي اسمه نصر بن شبث . وكانت هذه الثورات موجهة ضد النفوذ الفارسي لميل المأمون الى جانب الخراسانيين . وقد استطاع القائد عبد الله بن طاهر تهديته هذه القبائل بالحزم والشدة تارة وبالاستصلاح تارة أخرى اذ رفع عن كاهلهم الكثير من الضرائب .

هذا وتنبغي الاشارة كذلك الى ثورة الزط التي قامت في جنوب العراق بنواحي البصرة . وتقول المراجع عنهم انهم جيل من السند في شمال غرب الهند ، انتقلوا الى المنطقة الواقعة على الخليج العربي . والجدير بالذكر أن هذا الاسم « الزط » هو تعريب للكلمة الفارسية جت Jat وأغلب الظن أنها هي نفسها اصل الاسم الذي يطلق على الغجر او النور في اسبانيا وهو خيتانو Jitanos أو في إنجلترا باسم Gipsies .

وقد تكاثرت عدد الزط وتزايدت قوتهم في أيام الفتنة بين الأمين والمأمون حتى

غلبوا على طريق البصرة ، وأرسل اليهم المأمون عدة حملات في سنتي ٢٠٥ ، ٢٠٦ هـ ، غير أنه لم يستطع القضاء على ثورتهم ، بل ان خطرهم ازداد حتى فرضوا المكوس على السفن الداخلة الى بغداد وحالوا دون وصول الأتوات الى عاصمة الخلافة . واستمر الزط يقاتلون العباسيين الى أن قضى على ثورتهم بعد ذلك القائد العربي عجيف بن عنبسه في عهد الخليفة المعتصم الذي أمر بنفيهم الى مدينة عين زوربة في منطقة الثغور الاسلامية بآسيا الصغرى ، وكانوا نحو سبعة وعشرين ألفاً بين رجال ونساء وأطفال . وبقوا هناك حتى أغار البيزنطيون على مدينة عين زوربة سنة ٢٤١ هـ فأسروا من كان فيها منهم ونقلوهم الى القسطنطينية ، ومن ثم اتجهوا الى مختلف البلاد الأوربية ومن بينها اسبانيا . وقد اشتهر هؤلاء الزط في المشرق الاسلامي بأنهم كانوا يشتغلون بالغناء والرقص واضحاك الجماهير بأنواع من المحاكاة وضروب من النوادر والحكايات . وقد أشار الى اخبارهم كل من المسعودي في مروج الذهب وابن عبد ربه في العقد الفريد والابشهي في المستطرف .